الأثــر الحجاجي لأسلوب الاستفهام في الخطاب القرآني
سورة محمّد ـ عليه السلام ـ أنموذجًا

د. سعاد رمضان خليفة المريرى ـ كلية التربية بالزاوية ـ جامعة الزاوية
البريد الإلكتروني: s.almareei zu.edu.ly

The Argumentative Impact of the Interrogative Style in Qur'anic Discourse: A Study of Surah Muhammad as a Model
Research Introduction

Dr. Suad RamadHan khalleefah AlMareeri
Academic Rank: Assistant Professor
Affiliation: Faculty of Education, University of Al-Zawiya
Email: s.almareei@zu.edu.ly

Abstract:

Argumentation is an expressive mechanism among the tools of human discourse. The Holy Qur'an، being a divine book and a message directed to all humanity، openly calls for monotheism. In conveying this call، it employs various rhetorical methods، among which interrogation stands out as a prominent technique. In Surah Muhammad، interrogation serves expressive and communicative purposes that are indirectly related to its intended objective.

Keywords: Argumentation، Interrogation، Argumentative Impact.

الملخص:

الحِجاج آليّة تعبيريّة من آليات الخطاب الإنســـاني، والقرآن الكريم كتابٌ ســـماوي، وخطابٌ موجّه للبشــريّة جمعاء، جاء بدعوة صــريحة للوحدانية، وهو في هذه الدعوة يستخدم أساليب متنوعة للتبليغ، ومن أبرز هذه الأساليب أسلوب الاستفهام، وهو في ســورة محمد خرج لأغراضٍ تبليغية إنشــائيّة ترتبط بصــورة غير مباشــرة بالغرض المقصود منه.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الاستفهام، الأثر الحِجاجي.

المقدمـــــة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق والأنبياء أجمعين وبعد:

فإنّ الخطاب القرآني خطاب حجاجي، لأنّه في عمومه جاء ردّاً على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، وهو يقــدّم لنا منهجًا جديدًا يتمثّل في عقيدة التوحيد، متّخذًا في ذلك أساليب لُغويّة بليغة تنبئ عن بلاغة ورفعة المخاطِب، ومن هذه الأساليب اخترت أسلوب الاستفهام لما له من أثر حجاجي قوّي وواضح في إيصال الفكرة، والتواصل مع المخاطب، وذلك في سورة محمد أنموذجًا.

تضمنت خطة البحث جانبين: نظري وتطبيقي، الجانب النظري يتناول مفهوم الحجاج، ومفهوم الاستفهام والتعريف بالسورة. والجانب التطبيقي تناول الأثر الحجاجي الذي يحدثه الغرض البلاغي الذي يخرج إليه الاستفهام في الآيات القرآنية التي تضمنت الاستفهام في السورة.

مفهوم الحجـــــاج:

الحجاج آليّة تعبيرية من آليات الخطاب الإنســاني، وهو في اللغة من: "حاججتُه، أي: غلبته بالحجج التي أدلت بها، والحجّة: ما دُفع به الخصــم، والحجة البرهان، والحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة"[1]. ويُقرن ابن منظور الحجّة بالبرهان حينًا وبالخصــومة حينًا آخر، حيث يقول: "حاججته أحاجّه حجاجًا، ومحاجّه حتى حججتُه، أي: غلبته بالحجج التي أدليتُ بها، والحُجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج، أي جدل، والتحاجّ: التخاصُــم، ....، وحاجّه محاجّةً وحِجَاجاً: نازعه بالحجة"[2]. فالحجة عنده هي البرهان والدليل، وهو يفترض وجود تخاصم بين متخاطبين، فيتّخذ كلّ منهما الحجّة الدليل المناسب حتى يحصل له الغلبة والفوز، وهذا ما يجعل الحجاج في كثير من معانيه مرادفًا للجدل.

والحجاج في الاصــطلاح، هو "ما دُلَّ به على صــحّة الدعوى"[3]، فهو يركزّ على ما يُثبتُ قضيّةً، أو يُدفَع به حكمُ ما، أو يُنبئ على موقفٍ معيْن.

فالحجاج نشـاط لسـاني منطقي ضـمن الخطاب، ونظرًا لاتّسـاع دائرته يصـعب تحديد مفهوم دقيق لــه، فهو موزّع بين مختلف الحقول المعرفيــة، "إذ نجــده متواترًا في الأدبيات الفلسـفية والبلاغية التقليدية، وفي الدراسـات القانونية، والمقابرات اللسـانية، والخطابات المعاصرة"[4].

عرّف حديثًا طه عبد الرحمن الحجاج بأنه "كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى فحصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"[5].

فأساس الحجاج أن يكون هناك دليل معيّن تقوم على أساسه الدعوى لإثبات قضية معينة.

ويرى أبوبكر العزاوي "أن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلّة المؤديّة إلى نتيجة معينّة، وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللُّغويّة، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تُستنتج منها"[6].

ممّا سبق يمكن أن نستخلص أنّه وإن اقترن الحجاج بمعنى الجدل إلاّ أنّه هناك فرق بين الحجاج والجدل يجعل من الحجاج معنىً أعمّ من الجدل، فالحجاج هو تجاوز مع الآخر، سواء أكان هناك اختلاف في الرأي أم لا، ومحاولة إقناعه والتأثير فيه، وهو لا يفرض وجود طرفي خصومة ومنازعة كما يحصل في الجدل، وإنما وجود طرفي خطاب يتخذ كل منهما من الحجج وسيلة للاقناع والتأثير.

إنّ نظرية الحجاج التي وضع أسسها اللُّغوي الفرنسي "أوزفالد ديكرو" o:Ducrot" في سنة 1973م، هي نظريّة لسانيّة تهتم بالوسائل اللُّغويّة، وبإمكانات اللُّغة الطبيعيّة التي يتوافر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهةً ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف، هذه النظرية تريد أن تبيّن لنا أن اللُّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهريّة وظيفة حجاجيّة، ثم إنها تنطلق من الفكرة التي مؤدّاها "أننا نتكلّم عامة بقصد التأثير"[7].

ويرى العالم الغربي "ديكرو" وكذلك زميله "انسكومير" أنّ الحجاج باللغُّة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها تدعم وتثبت بعضها الآخر، أي أنّ المتكلم إنما يجعل قولاً ما حجّةً لقولٍ آخر هو بلغة الحجاج نتيجة لزوم إقناع المتلقّي بها، وذلك على نحو صريح وواضح، أو بشكل ضمني، وبمعنى آخر إنّ المتكلم قد يصرح بالنتيجة، وقد يخفيها فيكون على المتلقّي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية، بل اعتمادًا على بنيتها اللُّغوية فحسب"[8].

فالحجاج يُعدّ خطابًا لسانيًّا تداوليًّا يسعى إلى تجاوز النظر فيما هو حقيقي مُثبت إلى التعامل مع حقائق تمتاز بالتعدّد والتنوّع، لأنّ مبعثه الاختلاف، وشرط نجاحه أن يقوم على موضوعيّة الحوار، بحيث لا يكون طرف الحوار الثاني خصمًا بقدر ما يكون متعاونًا من أجل تحقيق غاية شريفة وسامية هي استمالة المتلقّي لما يُعرض عليه[9].

والقرآن الكريم خطاب موجّه، وهو أقوى خطاب يتجلي فيه الحجاج في أبلغ وأجمل صوره التبليغية، وهو خطاب موجّه للبشرية جمعاء، "جاء ليسطّر للفرد علاقته مع خالقه ونفسه وغيره من بني البشر وما بسط في الطبيعة ككل، وذلك بتشريع الأحكام وتوضيح المقاصد وتبيين طرق المعاملات وغير ذلك"[10].

فالتسلسلات الإنتاجية داخل الخطاب القرآني يتمثل فيها الحجاج في أروع صورة، فالقرآن خطاب يقوم على تقديم الحجج والبراهين من خلال القصص والمواقف والعبر التي يسردها بطرائق تعبيريّة تظهر فيها بلاغة الأساليب اللُّغوية التي تعبرّ سواء بطرائق مباشرة أم غير مباشرة عن قوة الأدلّة والحجج التي تؤدّي إلى نتائج الغرض منها في كل مرة هي إقناع المتلقي وتغير وجهته أو رأيه، أو تقديم دليلٍ كافٍ لاستمالته والتأثير فيه.

والأساليب اللُّغويّة التي تؤدي هنا الغرض في القرآن الكريم كثيرة، منها أسلوب الاستفهام الذي سيكون الحديث عنه في سورة "محمد"، وكذلك الحديث عن الأثر الحجاجي الذي يتركه كل استفهام في السورة من خلال الأغرض الأخرى التي يخرج إليها الاستفهام عن غرضه الأصلي وهو الاستفهام المباشر الذي يطلب ردًا.

الاستفهام وصورة الحجاجية في السورة:

الاستفهام أسلوب حقيقيته طلب الفهم، يقول الجرجاني: "الاستفهام في عرف النحاه الاستعلام عن ما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلب حصول صورة الشئ في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين، فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور"[12].

وهو "عند أهل العربية من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الإنشاء، وهو كلام يدل على طلب فهم ما اتصل به أداة الطلب"[13].

الاستفهام أسلوب من الأساليب الكلامية، ومقام من المقامات التواصلية، والنظرية الحجاجية انبثقت من داخل نظرية الأفعال الكلامية، والتي تعادل أو تساوي عند علماء العربية الأساليب الإنشائية[14].

وهو من الأساليب التي اعتمدها النص القرآني للإيحاء والتأثير بدلاً من المباشرة والتصريح، فهو ينقل المتلقّي من المستوى المباشر للخطاب القرآني إلى المعاني والدلالات الكامنة وراء النص والتي يخرج إليها الاستفهام، كالتقرير، والإنكار،

والتوبيخ، والتعجب، وغيرها.

والاستفهام نوعان: استفهام

حقيقي، واستفهام بلاغي أو مجازي

الاستفهام الحقيقي: وهو الذي ورد على أصل معناه، وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول وهذا النوع ليس مجاله القرآن الكريم، لأنه – سبحانه وتعالى- منزّه عن ذلك.

والاستفهام البلاغي أو المجازي: هو أحد الاساليب المستخدمة في اللُّغة العربيّة من أجل الوصول إلى هدف معين، أي أنّ هذا النوع من الاستفهام لا يُقصد به الاستفهام بعينه، وإنما يراد منه قصد آخر غير الاستفهام، كأن يكون لغرض التوبيخ أو التقرير، أو ما شابه ذلك، إذ إن الغرض هو غرض بلاغي، وليس استفهامًا حقيقيًا، بل هو استفهام حجاجي، يقصد منه "تأويل القول المراد تحليله، انطلاقًا من قيمته الحجاجية، على انّه يتجه وجهة القول المنفي"[15].

ولهذا النوع من الاستفهام حضوره في سورة محمد، وفي كل آيه من الآيات التي ورد فيها الاستفهام خرج لغرض معين، وكان ذا أثر ودلالة حجاجية.

التعريف بالسورة:

سورة "محمد" هي سورة مدنيّة بالاتفاق، وقيل إنها مكيّة، وحكى القرطبي عن الثعلبي والضحّاك أنها مكية[16]، ويبلغ عدد آياتها تسعًا وثلاثين آية، وجاءت معظم آياتها في التحريض على قتال المشركين وترغيب المؤمنين في ثواب الجهاد، حتى أنها سُميت سورة القتال، افتتحت السورة بما يثير حنق المؤمنين على المشركين لأنهم كفروا بالله وصدُّوا عن سبيله، وأعلم الله المؤمنين بأنه لا يسدّد المشركين في أعمالهم وأنه مصلح المؤمنين فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنص على أعدائهم، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأمر بقتالهم وعدم الاشفاق عليهم[17].

وفي كل آية من الآيات التي ورد فيها الاستفهام في السورة خرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر ذا أثرٍ ودلالةٍ حجاجيّة وورد الاستفهام في عشر آيات والأغراض التى حرج اليها هي:

1.التقرير:

التقرير هو "طلب إقرار المخاطب لما يريد المتكلم"[18]، وهو من الأغراض البلاغية الإنشائية التي يخرج إليها الاستفهام، ويُقصد به إقرار المخاطب بأمر استقر

عنده فيخرج هذا التقرير بصـــورة الاســـتفهام، ذلك لأنـه أوقعُ في النفس وأدلّ على الإلزام[19]، فالغرض منه هو إلزام السامع بالحجّة، وكأنّ المتكلم ينتزع الاعتراف الذي يرغب في معرفته من السـامع، وورد هذا النوع في سـورة محمد في قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[22]، فالاستفهام في الآية تقريري، والمعنى: "أليس تعس الذين كفروا مشـــهودًا عليه بآثاره في ســـوء عاقبة أمثالهم الذين كانوا قبلهم يدنيون بمثل دينهم"[21].

فإذا أنعمنا النظر في المعنى التقريري الذي خرج إليه الاســتفهام في الآية للمســنا أنَّ التقرير هنا مشـــوب بالتوبيخ، وذلك بذكره عاقبة أعمالهم، وهنا يكمن الأثر الحجاجي للاستفهام في هذه الآية فليس لهؤلاء حجّة من اتباع من قبلهم، والعاقبة لأمثالهم مشهود عليها، وممّا يعقد هذه الحجة أن الاســتفهام بالهمزة في الآية "أفلم يســيروا" غرضــه التقرير، حيث إنّ ورود الهمزة مع الفعل المـاضـــي يختلف عن ورودها مع الفعل المضـــارع، ففي الحـالـة الأولى يكون غرض المتكلم تقرير الخطـاب، وهو الغرض المقصود من ورود الهمزة مع الفعل الماضي الدال على الحال"[22].

2.الإنكار:

الإنكار غرض يؤتى به عندما يكون المسـؤول عنه أمرًا منكرًا، ويُسـمى اسـتفهام إنكاري، وهو بحسب مذهب علماء البلاغة نوعان: استفهام تكذيبي، واستفهام توبيخي، أمّا الاستفهام التكذيبي: فهو "كان يدّعى المخاطب وقوع شئ في الماضي أو المستقبل، وتقوم بالرد عليه وإنكارما ادّعاه على هيئة سؤال""[23]، ومن ذلك قوله تعالى: ""**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**"[24]، الاستفهام "مستعمل في التكذيب لما سيعتذرون به لانخزالهم به، ولذلك جئ بـــ "هل" الدالة على التحقيق لأنها في الاستفهام بمنزلة "قد" في الخبر، فالمعنى: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم، وأنتم تزعمون أنكم توليتم إبقاءً على أنفسكم على ذوي قرابة أنسابكم" [25].

تكمن قوة الحجاج في هذا الاســتفهام في أنهم يقعون فيما زعموا التفادي منه، وذلك بتأبيد الكفر وإحداث العداوة بينهم وبين قومهم. ومنه قوله ـ تعالى- : "**فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**"[26]، الاســتفهام في الآية اســتفهام إنكاري، أي: كيف يحصـــل لهم الذكرى إذا جاءتهم السـاعة، والمقصـود إنكار الانتفاع بالذكرى حينئذ[27]، وتكمن القوة

الحجاجية في هذا الاستفهام الإنكاري في إنكار الله – سبحانه وتعالى- عليهم أن ينتفعوا بأي شـئ إذا جاءتهم الموت، فالموت حقٌّ عليهم، وتوقّف ذكراهم يكون بموتهم الذي لا محالة ولا مهرب منه.

ومن الاستفهام الإنكاري في السورة قوله تعالى- : ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾[28]، الاستفهام في هذه الآية إنذار بأنّ الله مطّلع ورسوله – صلى الله عليه وسلم – على ما يضمره المنافقون من الكفر والمنكر والكيد ليعلموا أن أسرارهم غير خافية فيوقنوا أنهم يكدّون عقولهم في ترتيب المكائد بلا طائل، وذلك خيبةً لآمالهم، و"أم" منقطعة في معنى "بل" للاضراب الانتقالي، والاستفهام المقدر بعد أم للإنكار [29].

الأثر الحجاجي لهذا الاستفهام يكمن في أنّ الله – سبحانه وتعالى- مطّلع على ما يضمره المنافقون من أعمال الكفر والمنكر، لأنّه لا طائل مما يعدّونه من مكائد، وأنّ أعمالهم تنقلّب عليهم بالخيبة والخسران.

وأمّا الاستفهام التوبيخي: فهو أن ينكر المستفهِم على شخص ما قولاً معيّنًا قاله، أو عملاً عمله ولم يكن ينبغي له ذلك، فيوبّخه على ما صدر منه[30].

ورد من هذا النوع في السورة قوله ـ تعالى- : ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً**﴾ [31].

بيان الكلام يدلّ على ذمّ هذا السؤال لقوله عقبه: " أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ"[32]، فهو سؤال يُنبئ عن مذمة سائليه، فإن كان سؤالهم حقيقةً أنبأ عن قلّة وعيهم لما يسمعونه من النبي – صلى الله عليه وسلم – ويجوز أن يكون السؤال على غير حقيقيه ناوين به الاستهزاء، يظهرون للمؤمنين اهتمامهم باستعادة ماسمعوه، ويقولون لإخوانهم إنما نحن مستهزؤن[33].

تكمن القوة الحجاجية والأثر الحجاجي لهذا الاستفهام في إنكاره – سبحانه وتعالى- عليهم هذا السؤال وذمه، فهو العليم بما في نفوسهم سواء أكان سؤالهم حقيقة أو على غير حقيقته. ومنه في السورة قوله ـ تعالى- : ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم**﴾[34]، الاستفهام هنا مستعمل في إنكار المماثلة التي يقتضيها حرف التشبيه، والمقصود من إنكار المشابهة بين هؤلاء وهؤلاء هو تفضيل الفريق الأوّل، وإنكار زعم المشركين أنهم خير من المؤمنين كما ظهر ذلك عليهم في مواطن كثيرة[35]، فالاستفهام التوبيخي تضمّن قوّة حجاجيّة تكمن في إنكار الله تعالى

زعم المشـــركين أنهم خير من المؤمنين، وأن المماثلة بين الفريقين لا يمكن أن تكون مقبولة بأيِّ حال من الأحوال.

ومن الاستفهام الإنكاري التوبيخي قوله تعالى: "فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتةً فقد جاء أشراطها"[36]. لاستفهام في الآية "إنكار مشوب بتهكّم، وهو إنكار وتهكّم على غائبين موجّه إلى الرسـول – صـلى الله عليه وسـلم – أي: لا تحسـب تأخير مؤاخذتهم إفلاتًا من العقاب، فإنهم مرجون من الساعة"[33].

القوة والأثر الحجاجي يكمن في الإنكار والتهكيم في حد ذاتها خاصـــة عندما يكون هذا التهكّم والإنكار صـادر من العلي القدير، على هؤلاء الذين تأخرت مؤاخذتهم فلا تظنن أنها إفلات من العذاب، إنما عقابهم وحسابهم واقع لا محالة.

3.التعجب:

التعجب "شـــعور داخلي تنفعل به النفس حين تســـتعظم أمرًا نادرًا، أو لا مثيل له، مجهول الحقيقية أو خفي السبب"[38]، جاء فيه في سورة محمد قوله تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْـرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ"[39]. المقصـود "وعيدهم بأنهم سـيجعل لهم العذاب من أوّل منازل الآخرة، وهو حالة الموت، ولمّا جعل هذا العذاب محققًا وقوعه رتّب عليه الاستفهام عن حالهم استفهامًا مستعملاً في معنى تعجيب المخاطب من حالهم عند الوفاة، وهذا التعجيب مؤذن بأنّها حالة فظيعة غير معتادة، إذ لا يتُعجب إلاّ من أمر غير معهود"[40].

تكمن فاعلية هذا الاستفهام التعجبي المشحون بالحجاج في هذه الآية في التعجب من حالهم إذ الموت أول منازل العذاب بالنســبة لهم، وفي تصـــوير حالهم يوم القيامة بأن الملائكة يضـربون وجوههم وأدبارهم. ومنه قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[41]. معنى الآية: "أي هلاَّ تدبَّروا القرآن عوض شـغل بالهم في مجلسك يتتبّع أحوال المؤمنين، والاستفهام تعجب من سوء عملهم بالقرآن، ومن إعراضهم عن سماعه، والمعنى أنَّ الله خلقهم بعقول غير منفعلة بمعاني الخير والصلاح، فلا يتدبَّرون القرآن مع فهمه أو لا يفهمونه عند تلقيه، وكلا الأمرين عجيب"[42].

فالتعجب من حال هؤلاء القوم مشـحون بقوة حجاجيّة تكمن في أنهم لا يتدبرون القرآن ولا يفهمونه، ولا يعملون به، فعقولهم غير منفعلة بمعاني الخير والصـلاح، والذي زاد من قوّة الحجّة التعجبيّة في الآية هو قوله "أم على قلوب أقفالها"، وهنا نلاحظ تكرار أسلوب الاستفهام في الآية، والتكرير تأكيد على أهمية الرسالة، وهذا ما يخدم الغرض

الحجاجي، لأن استعمال أسلوب التكرير هو تقرير للمؤكد في نفس السامع، تمكنه في قلبه، ففائدة التأكيد هي تمكين المعني في نفس المخاطَب وتثبيت الحجّة.

الخاتمة ونتائج البحث:

يُعدُّ الخطاب القرآني خطاب حجاجي في مجمله، فهو جاء حجّةً للمؤمنين في الأرض، وهو خطاب يزخر بالآليّات الحجاجيّة التي يوظّفها لغرض التأثير في المخاطبين، ومن هذه الآليات "أسلوب الاستفهام" الذي تجسّد في سورة "محمد" بأغراضه البلاغية المختلفة التي خرج إليها، ومن خلال دراستي لآيات السورة التي تضمنّت الاستفهام توصّلت إلى النتائج الآتية:

1. إنّ الاستفهام في السورة جاء على غير صورته الحقيقية، والذي يتطلّب إجابة، بل خرج إلى أغراض بلاغية إنشائية هي التقرير، والإنكار، والتعجب.

2.الاستفهام الإنكاري بنوعية التكذيبي والتوبيخي كان له النصيب الأكبر من آيات السورة التي تضمنت الاستفهام، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على قوة إيقاع أسلوب الاستفهام في السور المكية، وأنه موجّه إلى قوم مشركين ومنكري النبوة.

3.إن الغرضين البلاغيّين "التقرير، والتعجب" اللذان خرج إليهما المعنى في آيات الاستفهام في السورة جاءا تعضيدًا للغرض البلاغي الإنكاري، لأنّ نجاح الخطاب الحجاجي يكمن في مدى مناسبته لطبيعة السامع المستهدف من الخطاب.

4.أسلوب الاستفهام من الأساليب التي اعتمدها النص القرآني للإيحاء والتأثير بدلاً من المباشرة والتصريح، فهو بنقل المتلقّي من المستوى المباشر للخطاب القرآني إلى الإشارات والمعاني والدلالات الكامنة وراء النص، ليوجّه المتلقي إلى التأثير والتدبُّر.

الهوامـــــــــش:

1. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، لبنان، ط1، 1997م، مادة ح ج ج ، وانظر مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، لبنان: مادة ح ج ج .
2. لسان العرب، مادة ح ج ج.
3. التعريفات، الشـــريف الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار اللّســـان العربي، بيروت، لبنان، 1992م، ص482.
4. النظرية الحجاجية من خلال الدراســات البلاغية والمنطقية واللّســانية، محمد طروس، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005م: 6
5. اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م: 226.
6. اللُّغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسّـســة الرحاب الحديثة للطباعة والنشــر والتوزيع، لبنان، 2009م:16.
7. انظر المصدر السابق: 17.
8. الحجاج في الشـعر العربي، بنيته وأسـاليبه، سـامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2001م: 23.
9. انظر في اللّسـانيات التداولية مع محاولة تأصـيليّة في الدرس العربي القديم، خلفية بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م: 107.
10. البيان الحجاجي في إعجاز القرآن، ســورة الأنبياء أنموذجًا، عبدالحليم بن عيســى، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، العدد 102، 2006م: 33.
11. معنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشـــام الأنصـــاري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الشام للتراث: 13/1.
12. معجم التعريفات، عليّ الشـريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار اللّسـان العربي، بيروت، لبنان، 1992م: 18.
13. كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، عليّ التهانوي، تحقيق عليّ دحرج: 71.
14. انظر اللّغة والحجاج: 55.
15. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسّسة الرحاب الحديثة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م: 57.
16. انظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسيّة للنشر، 1984م: 71/26.
17. انظر المصدر السابق: 72/26.
18. البلاغة، فنونها وأفنانها "علم المعاني"، فضـل عباس حسـن، دار النفائس للنشـر والتوزيع، ط2، 2005م: 201/1.
19. انظر الخطاب والحجاج: 57.
20. سورة محمد، الآية 11.
21. التحرير والتنوير: 87/26.
22. انظر دراســات في نحو اللُّغة الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضـــاء، ط1، 1986م: 97.
23. علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م: 91.

24. سورة محمد: الآية 33.
25. التحرير والتنوير: 111/26.
26. سورة محمد: من الآية 19.
27. انظر التحرير والتنوير: 104/26.
28. سورة محمد: الية 30.
29. انظر التحرير والتنوير: 120/26.
30. انظر البلاغة فنونها وأفنانها: 201.
31. سورة محمد: من الآية 17.
32. سورة محمد: من الأآية 17.
33. انظر التحرير والتنوير: 101/26.
34. سورة محمد: الآية 15.
35. انظر التحرير والتنوير: 92/26.
36. سورة محمد: من الآية 19.
37. التحرير والتنوير: 103/102/26.
38. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط11، 339/21:3.
39. سورة محمد: الية 28.
40. التحرير والتنوير: 118/26.
41. سورة محمد: الية 25.
42. التحرير والتنوير: 113/26.